

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .
قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين :

باب تفسير الإسلام وقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ الآية [١]

عمران: ٢٠ .

قال المصنف رحمه الله : ((بَابُ تَفْسِيرِ الْإِسْلَامِ)) ؛ بعد أن بيّن رحمه الله في البابين الماضيين فضل الإسلام وعظيم مكانته ووجوب الدخول فيه والمحافظة عليه عقد هذا الباب ليبين به تفسير الإسلام . والتفسير : هو التوضيح والكشف والبيان ؛ فتفسير الإسلام : هو توضيح وبيان حقيقة الإسلام ؛ تفسيره : بيان ما هو ؟ .
وكثير ممن كانوا يأتون النبي ﷺ يسألونه عن الإسلام ، وسيأتي بعض هذه الأحاديث عند المصنف رحمه الله .
الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ والذي هو دين الله ولا يرضى ﷻ ديناً سواه قد بيّنه النبي عليه الصلاة والسلام أتم بيان ، وأوضحه عليه الصلاة والسلام أكمل إيضاح ، فلم يدع لقائل مقالة ؛ بل بيّنه ﷺ ، وما ترك شيئاً من أمور الإسلام إلا وبيّنها حتى نزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] . وعليه ؛ فإن الإسلام هو دين الله الذي بعث به رسله عليهم صلوات الله وسلامه ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] أي : الدين الذي ارتضاه ينحصر في الإسلام الذي بعث به رسله ، فكل عمل وكل طاعة وكل قرينة يقترب بها ولم تأت عن رسول الله ﷺ فهي ليست من الإسلام ؛ الإسلام هو ما جاء به رسول الله ﷺ .

والإسلام : هو الاستسلام ؛ أسلم لله : أي استسلم له مخلصاً مقرباً إليه تبارك وتعالى بما يحبه ويرضاه ﷻ .
أسلم لله ؛ هذا فيه أمران : فيه الإخلاص لله ، وفيه الانقياد ؛ «أسلم» : أي استسلم وانقاد ، «لله» : أي مخلصاً .
فالإسلام لله فيه الإخلاص لله ، وفيه الانقياد لأمره تبارك وتعالى ، ولهذا من عبد غير الله ﷻ ليس بمسلم ؛ لأنه لم يسلم لله وإنما أشرك مع الله تبارك وتعالى غيره ، وكذلك من استكبر ولم يخضع لله ﷻ فهذا ليس بمسلم .
فالإسلام هو الاستسلام لله ، فيشمل أمرين ؛ يشمل الإخلاص والانقياد لله تبارك وتعالى ؛ أصل الإسلام في القلب ، وينبغي على علامات القلب عمل الجوارح بالخضوع والانقياد والتذلل والقيام بالعبودية لله تبارك وتعالى .

وقد عرّف المصنف رحمه الله في بعض رسائله الإسلام بتعريف جامع فقال : «الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك»؛ هذه هي حقيقة الإسلام ، حقيقة الإسلام : «استسلام لله» وهذا فيه الإخلاص لله ﷻ ، «والانقياد له بالطاعة» وذلك بلزوم أمره تبارك وتعالى وطاعته فيما أمر عباده به ، «والخلوص من الشرك والبراءة منه» بالبعد عنه والحذر منه ومن أهله . فهذه هي حقيقة الإسلام ، ومن لم يأت بهذه الحقيقة فليس بمسلم ، المسلم هو المستسلم لله ﷻ المنقاد البريء من الشرك البعيد عن الشرك ، ولهذا - كما قدمت - من عبد مع الله غيره ليس بمسلم ، ومن استكبر عن عبادة الله تبارك وتعالى ليس بمسلم ، فالمسلم هو المستسلم لله الذي أسلم وجهه لله بالإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول صلوات الله وسلامه عليه .

وقد أورد رحمه الله أولاً قول الله ﷻ : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ ؛ ساق هذه الآية ليبين بها تفسير الإسلام وحقيقته ، وهذه الآية يسبقها قول الله ﷻ : ﴿ إِنْ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١٩) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا .

قال : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ ﴾ : أي إن حاجوك في هذا الدين الذي جئت به وما تدعوا إليه من التوحيد والإخلاص لله رب العالمين وارتابوا مما جئت به ، إن حاجوك أي إن جادلوك في دينك الذي أرسلت به وبُعثت به ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ وهذه حقيقة الإسلام ، وهو موضع الشاهد من الآية للباب . ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ تجمع هذه الكلمة أمران كما قدمت ؛ الأول : الاستسلام لله بالانقياد والطاعة والاستجابة والإذعان والامتثال . ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ : أي مخلصاً لا أجعل مع الله تبارك وتعالى شريكا . فالإسلام دين الله تبارك وتعالى الذي يتقرب به إليه ﷻ ، فمن لم يتقرب لله ﷻ بالإسلام فليس بمسلم ، ومن تقرب بالإسلام لغير الله أو جعل مع الله شريكاً فيه فليس بمسلم ، هذه حقيقة الإسلام ، حقيقة الإسلام : استسلام الله ؛ فمن ترك الإسلام وترك الاستسلام لله فليس بمسلم ، ومن جعل مع الله غيره في استسلامه فليس بمسلم ، فالإسلام : استسلام لله ﷻ وحده ؛ بإخلاص الدين له والانقياد له والتذلل بين يديه .

قال : ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ ؛ هذا حقيقة ديني وحقيقة ما جئت به هو إسلام الوجه لله تبارك وتعالى . ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ ؛ ومن اتبعني : أي يقول بقولي ، أتباعي مثلي وعلى منهاجي وعلى طريقي ، فأنا ومن اتبعني أسلمنا وجوهنا لله ﷻ ، مثلها قول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ

عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴿يوسف: ١٠٨﴾ ؛ أي أنا وأتباعي على هذا النهج ، وهنا أي أنا وأتباعي على هذا السبيل وعلى هذا الاستسلام لله تبارك وتعالى .

الشاهد : أن الآية فيها تفسير للإسلام وبياناً لحقيقته ؛ بأنه استسلام العبد لله ، وإسلام الوجه لله تبارك وتعالى خضوعاً وتذلاً ورغباً ورهباً وقياماً بطاعة الرب وَعَلَى مخلصاً له الدين .

قال رحمه الله :

وفي الصحيح عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((الإِسْلَامُ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)) .

ثم أورد حديث عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ((الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)) ؛ فسر عليه الصلاة والسلام الإسلام بهذه الخمس ، وتفسيره للإسلام بهذه الخمس لا لأن الإسلام منحصر فيها ؛ ولكن لأن هذه الخمس هي مباني الإسلام ، فالإسلام عليها يُبنى كما في حديث بن عمر أن النبي ﷺ قال : ((بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ)) وذكر هذه الأمور الخمسة وهي تُعرف بـ«مباني الإسلام» . ومعنى كونها مباني الإسلام : أي أن قيام الإسلام وبنائه عليها ؛ فكما أن البيت لا يُبنى ولا يقوم إلا على عماده ، فالإسلام لا يقوم إلا على هذه المباني ؛ فهي أعمدة الإسلام ومبانيه التي عليها قيام الإسلام . فتفسير النبي عليه الصلاة والسلام للإسلام بهذه الأمور الخمسة لأنها هي الأساس وهي الأصل وهي التي عليها يبنى دين الله ﷻ الإسلام .

وبدأها بالشهادتين وهي أساس الأسس وأول ما يدخل به في هذا الدين ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، الدين كله يبنى على الشهادتين ؛ الصلاة والصيام والحج وكل طاعة ، الدين كله يبنى على الشهادتين فهي أساس الدين وأصله ؛ الشهادة لله ﷻ بالوحدانية ، والشهادة لنبيه ﷺ بالرسالة .

قال : ((تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) ؛ تشهد : أي تُقر وتعلن وتعتز وتُخبر ، كل هذه معاني للشهادة .

((أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) : أي لا معبود بحق سواه ، فهي كلمة مبنية على ركنين وقائمة على أصلين : النفي العام في أولها ، والإثبات الخاص في آخرها . فـ((لا إله)) نفي العبودية عن كل من سوى الله ، و((إلا الله)) إثبات للعبودية بكل معانيها لله وحده ، وهذه حقيقة التوحيد : نفي للعبودية عن كل من سوى الله ، وإثبات للعبودية بكل معانيها لله وحده ﷻ ، فلا يكون المرء موحداً إلا بهذين الركنين : النفي والإثبات ؛ فمن نفى ولم يثبت فهو ليس بموحد بل ملحد ، ومن أثبت ولم ينفِ فهو ليس بموحد بل مشرك ، وحقيقة التوحيد قائمة على النفي والإثبات ؛ نفي العبودية عن كل من سوى الله ، وإثبات للعبودية بكل معانيها لله وحده ، ولا يكون موحداً إلا

من عرف العبادة فنفاها عن كل من سوى الله وأثبتها لله وحده وخضع وذل لله ﷻ بالقيام بهذه العبادة له ﷻ كما أمر وكما شرع .

((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) : أي لا معبود بحق سوى الله . وعبادة كل من سوى الله مهما علا مقامه ومهما ارتفع شأنه فهي عبادة باطلة ، ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢] ، ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج: ٦٠] ، فالعبادة الحق عبادة الله ، وأما عبادة من سواه من كان ومهما كان فهي عبادة باطلة .

((أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ)) ؛ والشهادة لنبينا ﷺ بالرسالة قرينة الشهادة لله بالوحدانية؛ بل أن الله تبارك وتعالى لا يقبل شهادة من شهد له بالوحدانية حتى يشهد لنبيه ﷺ بالرسالة، ولهذا جاءت مقترنة ويقال لهما «الشهادتان» ، وهما متلازمتان لا تقبل واحدة منهما إلا بالأخرى ؛ الشهادة لله بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة .

ومن شهد له عليه الصلاة والسلام بالرسالة ، فإن مقتضى هذه الشهادة طاعته ﷺ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤] ، ولهذا فإن حقيقة الشهادة له ﷺ بالرسالة : طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر ، والانتفاء عما نهي عنه وزجر ، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع . من شهد له ﷺ بالرسالة ، فإن الواجب عليه أن يطيعه في أوامره ، وأن ينتهي عن نواهيه ، وأن يصدق الأخبار التي جاء بها ، وهذه الأمور الثلاثة هي خلاصة ما جاء به عليه الصلاة والسلام ، جاء بأوامر، وجاء بنواهي، وجاء بأخبار ؛ فمن قال أشهد أنه رسول الله ﷺ فعليه أن يطيعه في أوامره ، وأن ينتهي عن نواهيه ، وأن يصدق في أخباره ﷺ ، ولهذا عرّف المصنف رحمه الله شهادة أن محمداً رسول الله في بعض رسائله بقوله : «طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، والانتفاء عما نهي عنه وزجر ، وألا يُعبد الله إلا بما شرع» .

قال : ((وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ)) ؛ أي تقيم الصلاة التي كتب الله عليك . والصلاة المكتوبة هي خمس صلوات في اليوم واللييلة افترضها الله ﷻ على عباده وأمرهم بإقامتها ، وأخبر نبي الله ﷺ بأن ((مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاتٌ ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَبِي بَنْي حَلَفٍ)) ، وهؤلاء رؤساء الكفر وأعمدة الباطل . فالصلاة كما وصفها النبي ﷺ في حديث آخر ((عماد الدين)) ، وقال : ((الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)) . وعندما يُسأل أهل النار ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿ [المدثر: ٤٢-٤٣] . فالصلاة شأنها في الإسلام عظيم ، بل جاء عن النبي ﷺ أن أول ما يُسأل العبد عنه يوم القيامة صلاته، وجاء فيها نصوص متكاثرة

تدل على عظم فضلها وعظم مكانتها ، بل قال بعض السلف: «من أراد أن ينظر إلى حظه في الإسلام فلينظر إلى حظه من الصلاة»؛ لعظم مكانة الصلاة في الإسلام ، ولهذا ذكر النبي عليه الصلاة والسلام الصلاة عقب الشهادتين مباشرة، وهذه الأركان في الحديث رُتبت حسب أهميتها ومكانتها ؛ فأعظم شيء في الإسلام الشهادتان ثم الصلاة التي هي عماد الدين وأعظم أركانه بعد الشهادتين ، وهي خمس صلوات في اليوم والليلة كتبها الله تبارك وتعالى على عباده وجعل فيها صلاحهم وفلاحهم وقرة عينهم ، وسميت «صلاة» : لأنها صلة بين العبد وبين ربه يقرب من الله ويناجي ربه ويتذلل بين يديه راعياً ساجداً خاضعاً متذللاً منكسراً متطهراً ذاكراً شاكراً ؛ عبادة عظيمة جليلة وقرية لله تبارك وتعالى من أعظم القرب وأجلها .

قال : ((وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ)) ؛ والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله ، وكثيراً ما تأتي في القرآن مقرونة بالصلاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ، ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ في آيات كثيرة في كتاب الله ﷻ . والزكاة جزء يسير من المال افترضه الله ﷻ على الأغنياء كما قال عليه الصلاة والسلام : ((صَدَقَةٌ فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ)). والزكاة ليست واجبة على كل مسلم ؛ وإنما هي واجبة على من آتاه الله مالاً بلغ النصاب ، ولا يُخرج ماله كله ولا نصفه ولا ثلثه ، وإنما يُخرج جزءً يسيراً منه ، وسميت «زكاة» : لأن فيها تزكية للمال ، وتزكية لصاحب المال ، وتزكية أيضاً للمجتمع الذي تخرج فيه الزكاة وذهاباً للشحناء والبغضاء والعداوات بين الناس .

((وَتَصُومَ رَمَضَانَ)) وهو شهرٌ واحد في السنة كتب الله ﷻ على عباده صيامه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] ، وهي عبادة عظيمة يتقرب بها المسلم إلى الله تبارك وتعالى ، وهي سرٌّ بين الصائم وبين ربه ﷻ ، ولهذا جاء في الحديث القدسي يقول الله ﷻ : ((الصَّيَّامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)) ؛ لأنه سر بين الصائم وبين الله ﷻ ، يمتنع فيه الصائم عن طعامه وشرابه وشهوته من طلوع الفجر إلى غروب الشمس في أيام شهر رمضان طالباً بذلك تقوى الله ﷻ ، متقرباً بذلك إلى الله ﷻ .

ثم ذكر فريضة الحج قال: ((وَتَحُجُّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)) ؛ والحج فريضة من فرائض الإسلام ، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] ، فهي فريضة من فرائض الإسلام وليس مفروضاً على كل أحد ؛ وإنما هو مفروض على المستطيع ؛ وهو الذي يجد الزاد والراحلة ، وهو لا يجب على الناس في كل عام ؛ وإنما هو فريضة في العمر كله مرة واحدة ((الْحُجُّ مَرَّةً فَمَا زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ)) ، فالحج فريضة وركن من أركان الإسلام ، ولا يجب على الناس إلا مرة واحدة في الحياة كلها وفي العمر جميعه .

فهذه مباني الإسلام ، وإذا تأملت هذه المباني :

الشهادتان يبنى عليها الدين كله .

■ والصلاة : أعمال ميسرة في اليوم واللييلة خمس مرات ، وأيضا هي على الاستطاعة ((صَلِّ قَائِمًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ)) ، لها أوقات محددة ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] ، يؤدي المسلم كل صلاة في وقتها على قدر استطاعته ((وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)).

■ والزكاة : لا تجب إلا على الأغنياء، ومن بلغ ماله النصاب يُخرج منه جزء قليلا ، وفيه تزكية للمال ((مَائِقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ)) بل تزده ، وفيها تزكية للمال وبركة وغناء .

■ والصيام : فرض على الناس شهر واحد في السنة ، من أطاقه صام ، ومن كان غير مطيق لمرضه أو لكبره فهو معذور ؛ المريض لا يصوم وإنما يؤجل الصيام حتى يشفى من مرضه ، ومن كان غير قادرٍ على الصيام لكبره وهرمه لا يصوم وإنما يُطعم عن كل يوم مسكين .

■ والحج فرض في العمر كله مرة ، وأيضا ليس على كل أحد وإنما على المستطيع ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ

الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ .

فإذا قرأت هذه الأركان التي يُبنى عليها الدين ظهر لك أن دين الله ﷻ دين ميسر لا عنت فيه ولا مشقة ، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام ((إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ)) ؛ فعقائده صحيحة قويمه تقبلها العقول السليمة وتتلقاها الفطر القويمة بانشرح ، وأعماله أعمالٌ يسيرة وسهلة لا مشقة فيها ولا عنت ، يدعو إلى كريم الأخلاق وعالي الآداب ورفيعها ، ولهذا سيأتي معنا ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)) ؛ فهذه حقيقة الإسلام وهذه حقيقة الدين ؛ دينٌ سمح ، وقد مر معنا قريباً ((بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ)) فهو دين سمح ودينٌ ميسر فيه رفعة الإنسان وفلاحه في الدنيا والآخرة .

إذاً هذا الحديث حديث عمر بن الخطاب ومثله حديث ابنه ابن عمر فيه تفسير للإسلام بأعظم شيء فيه ، وهي هذه الأسس الخمس والمباني الخمسة التي يبنى عليها الإسلام .

الإسلام عرفنا أنه : الاستسلام لله وهو الانقياد لله تبارك وتعالى مخلصاً ومطيعاً له ﷻ ، ففسره النبي عليه الصلاة والسلام باستسلام مخصوص ذكر فيه مباني الإسلام الخمسة خاصةً لأنها أعظم شيء في الإسلام ؛ لا أن الإسلام هو هذه الخمس فقط ، ولهذا يأتي في أحاديث أخرى ذكر أمور أخرى تدخل في الإسلام ويشملها اسمه ، مثل هذا الحديث الذي ساقه المصنف ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)) ، ومثل قوله عليه الصلاة والسلام ((مَنْ حُسِّنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَزَكَّاهُ مَا لَا يَعْنِيهِ)) ، وأحاديث كثيرة وردت عن النبي ﷺ تبين ما يشمله اسم الإسلام من انقياد وامثال وطاعة لله ﷻ .

قال رحمه الله :

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)) .

ثم أورد المصنف حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)) ؛ عرفنا أن حقيقة الإسلام هي استسلام العبد لله وذلك بخضوعه له مخلصاً منقاداً ممتثالاً ، ولا يكون ذلك إلا بطاعة الله سبحانه بالقيام بحقوقه التي أمر عباده بها من صلاة وصيام ، والقيام بحقوق عباده .

(١) القيام بحقوقه هو ؛ وهي العبادة المحضة التي أمر العباد بالقيام بها من صلاة وصيام وزكاة وحج هذه حقوق افترضها الله ﷻ على عباده ؛ وهي العبادة المحضة ، التقرب إلى الله ﷻ بما شرع وبما أمر عباده أن يتقربوا به من فرائض واجبات .

(٢) القيام بحقوق العباد ؛ من بر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلى الناس ، والبعد عن آذاهم ، كل ذلك يُعدّ عبادةً من جهة أنه طاعةٌ لله ، ويعدّ إسلاماً لأن فيه استسلاماً لله بامتثال أمره للقيام بهذه الحقوق ، فهي تسمى عبادة من هذه الجهة ؛ وإلا فإن العبادة المحضة هي التقرب إلى الله ﷻ بالعبادات التي يخضع فيها العبد لله من صلاة وصيام ودعاء وغير ذلك من القرب .

قال : ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)) ؛ عرفنا أن من الإسلام القيام بحقوق العباد ، وأعظم ما يكون في ذلك أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ، وأن تأتي إليه الشيء الذي تحب أن يؤتى إليك ، يقول عليه الصلاة والسلام ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحَّجَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ حَقَّ اللَّهِ وَلَيَأْتِيَ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ)) ؛ «فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» حق الله ، «وَلَيَأْتِيَ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ» حقوق العباد . فحقوق العباد القيام بها من الإسلام ؛ أي من الاستسلام لله ، من الطاعة لله ، لأن الله أمر بذلك ودعا عباده إلى ذلك ؛ أن تأتي إلى الناس الشيء الذي تحب أن يؤتى إليك وأن تحب لهم ما تحب نفسك .

وهنا قال : ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)) وهذه أقل درجة تُنتظر من المسلم في إسلامه فيما يتعلق بحقوق العباد ؛ أن يسلموا من لسانه ويده ، وإلا الإسلام يتناول مقامات أعظم من كف الأذى ، يتناول إعانة المسلم ، وصلة الرحم ، بر الوالدين ، الإحسان إلى المحتاج ، إغاثة الملهوف .. إلى غير ذلك من أعمال الإسلام التي دعا إليها وأمر بها في آيات وأحاديث عديدة . فقله ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)) هذه أقل درجة تتعلق بحقوق العباد ، من لم يقم بحقوق العباد من البر والصلة والإحسان والوفاء وغير ذلك فلا أقل من أن يسلم المسلمون من لسانه ويده ؛ أن يكف آذاه عن الناس .

قال: ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)) أي : سلّموا من آذاه القولي والفعلية ؛ القولي : باللسان ، والفعلية : باليد أو غيرها من أعضاء الإنسان .

قال رحمه الله :

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام فقال : ((أن تسلم قلبك لله ، وأن تولي وجهك إلى الله ، وأن تصلي الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة)) رواه أحمد .

ثم أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث العظيم في بيان حقيقة الإسلام ، وهو عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام ، قبل سؤاله للنبي عليه الصلاة والسلام عن الإسلام وعن حقيقة الإسلام قال كلمة عجيبة يتبين الواقع الذي كان يعيش الناس عليه بسبب الدعاية المغرضة ضد دعوة النبي ﷺ ، فيقول والد حكيم لما وصل إلى النبي عليه الصلاة والسلام : «والله يا رَسُولَ اللهِ، مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى حَلَفْتُ عَدَدَ أَصَابِعِي هَذِهِ أَنْ لَا آتِيكَ» لماذا هذا الحلف ؟ بسبب ما سمع من دعاية حوله ؛ ناس يقولون مجنون ، وناس يقولون ساحر ، وناس يقولون كاهن .. دعايات مغرضة بُثت حوله لصد الناس عن دينه ، فلما سمع عنه هذه الدعايات حلف عدد أصابعه ألا يذهب إليه ، ولهذا لما وصل إلى النبي عليه الصلاة والسلام قال : «والله يا رَسُولَ اللهِ، مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى حَلَفْتُ عَدَدَ أَصَابِعِي هَذِهِ أَنْ لَا آتِيكَ ، فَبِالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا الَّذِي بَعَثَكَ بِهِ؟» ؛ اقتنع أنه بعث عليه الصلاة والسلام بالحق فسأله قال : «مَا الَّذِي بَعَثَكَ بِهِ؟» قَالَ: ((الْإِسْلَامُ)) ؛ بعثني الله بالإسلام . قَالَ : «وَمَا الْإِسْلَامُ؟» يعني سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن الإسلام ، فعرفه بهذه الكلمات ، قال: ((أن تسلم قلبك لله ، وأن تولي وجهك إلى الله ، وأن تصلي الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة))

تأمل تفسير الإسلام العظيم هنا ، وأيضا سيأتي في الحديث الذي بعده ؛ قال: ((أن تسلم قلبك لله)) ؛ ففسر عليه الصلاة والسلام الإسلام باستسلام القلب مع العمل الظاهر ، وتأمل ذلك واضحا في الحديث قال: ((أن تسلم قلبك لله ، وأن تولي وجهك إلى الله ، وأن تصلي الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة)) ؛ ففسر عليه الصلاة والسلام الإسلام باستسلام القلب ؛ وهو خضوع القلب وانقياده وإذعانه لله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ ، وبالأعمال الظاهرة ؛ ((أن تصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة)) ، فالنبي ﷺ فسر الإسلام هنا باستسلام القلب لله ومع هذا العمل الظاهر قال : ((تصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة)) .

قوله ((أن تسلم قلبك لله)) أي : أن تجعل قلبك مسلماً لله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ ، وكيف يكون القلب مسلماً لله؟ يكون القلب مسلماً لله بانقياده وإذعانه لله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ ، وقبوله لدين الله ، ورضاه به ، وإقباله عليه ، وانشراح الصدر له ﴿أَفَمَنْ

شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴿[الزمر: ٢٢]﴾ ؛ ينشرح الصدر ويُقبل على الإسلام ، ويجب الدين وأوامر الدين ، ويدعن وينقاد . ((أن تسلم قلبك لله)) ؛ و «لله» تتكرر معنا تنبيه على الإخلاص ؛ أي لله وحده دون جعل شريك معه في ذلك .

((وَأَنْ تَوَلَّى وَجْهَكَ إِلَى اللَّهِ)) كما قال ﷻ : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الروم: ٣٠] تقيم وجهك لله وذلك بإقبالك على أوامر الله ﷻ وتوجهك إليها وامثالها لها ، وطواعيتك لربك ﷻ فيما أمرك تبارك وتعالى به ، ((وَأَنْ تَوَلَّى وَجْهَكَ إِلَى اللَّهِ)) أي مقبلاً عليه ﷻ وعلى دينه غير معرض ولا مدبر .

((وَأَنْ تَصَلِيَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ)) : أي التي افترضها الله تبارك وتعالى على عباده .

((وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ)) ؛ فهذا هو الإسلام : استسلام للقلب ، وانقياد للجوارح .

قال رحمه الله :

وعن أبي قلابة عن رجلٍ من أهل الشام عن أبيه أنه سأل رسول الله ﷺ ما الإسلام ؟ قال : ((أن تسلم قلبك لله ، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك)) ، قال : أي الإسلام أفضل ؟ قال : ((الإيمان)) ، قال : وما الإيمان؟ قال : ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت)).

ثم أورد حديث أبي قلابة عن رجلٍ من أهل الشام عن أبيه ؛ والحديث له شواهد صح بها وثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام .

((أنه سأل رسول الله ﷺ ما الإسلام ؟ قال : أن تسلم قلبك لله ، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك)) ؛ فجمع في هذا الحديث ما تقدم في الأحاديث الماضية ؛ من أن الإسلام يشمل حقوق الله ﷻ وحقوق العباد .

فقلوه ((أن تسلم قلبك لله)) اقتصر على إسلام القلب لله ﷻ ولم يذكر الصلاة والزكاة وبقية الأركان وحقوق الله تبارك وتعالى ؛ لأن إسلام القلب لله يقتضي القيام بحقوقه ﷻ ، كما قال عليه الصلاة والسلام : ((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)) ، فإذا استسلم القلب لله انقادت الجوارح بالصلاة والصيام وسائر الطاعات ؛ فقلوه ((أن تسلم قلبك لله)) تنبيه على حقوق الله ﷻ ، وقوله ((ويسلم المسلمون من لسانك ويدك)) تنبيه على القيام بحقوق العباد . وعليه ؛ فإن الإسلام هو الانقياد لله ﷻ بالقيام بحقوقه وحقوق عباده ، قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن : ((اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)) ، ويأتي في أحاديث كثيرة جداً الجمع بين حقوقه وحقوق عباده ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] ثم ذكر بعدها حقوق للعباد عديدة

أضافها كلها إلى حقه ﷻ ، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] ذكر حقه وحقوق العباد . قال ﷺ في الحديث : ((إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ : لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا)) ؛ ذكر حقه تبارك وتعالى وحقوق عباده .

وقوله عليه الصلاة والسلام ((يسلم المسلمون من لسانك ويدك)) هذا يتناول التحذير من جميع أنواع الأذى وصنوف الكبائر التي حرّمها الله ﷻ على عباده : الكذب ، والغش ، والسب ، والشتيم ، واللعن ، والدخول في أعراض الناس ، والسرقه ، وانتهاك الأعراض ، كلها داخلة تحت قوله ((أن يسلم المسلمون من لسانك ويدك))؛ يسلمون من أذى الإنسان القولي والفعلي ، فلا يؤذي أحداً لا بقول ولا بفعل .

ثم قال : «أي الإسلام أفضل؟» قال : ((الإيمان)) ؛ كنا عرفنا فيما سبق أن للإسلام إطلاقان : إطلاق يراد به الدين كله ، وإطلاق يراد به الأعمال ؛ لأن الدين إيمان وعمل ، والعمل هو الإسلام -الاستسلام- ، فتارة يطلق الإسلام ويراد به الدين كله ، كما قال ﷻ : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] فالإسلام الدين كله . «فقال : أي الإسلام أفضل؟» يعني أي الدين أفضل ؟ فالإسلام المراد به هنا الدين كاملاً بعقائده وأعماله ولهذا قال : «أي الإسلام أفضل؟» قال : ((الإيمان)) . فقوله «أي الإسلام أفضل؟» المراد بالإسلام : عموم الدين ، كما قال ﷻ : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ؛ فهذا يتناول العقيدة والعمل .

«فقال : أي الإسلام أفضل؟» قال : ((الإيمان)) ، قال : «وما الإيمان؟» قال : ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت)) ؛ وهذه الأمور التي ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام هنا هي أركان الإيمان ، وعليها بناء الأعمال ، الأعمال التي هي استسلام لله بالقيام بالعبودية والطاعة والامتنال تُبنى على هذه الأركان التي هي أصول الإيمان التي عليها بناؤه ، قال الله ﷻ : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤] ، فالإيمان والدين له أصل في القلب ؛ ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)) هذه أصول وأركان للإيمان يبنى عليها الدين . ولهذا لا يقبل أي عمل -لا صلاة ولا صيام ولا حج ولا غير ذلك من الطاعات- إلا إذا كانت قائمة على هذه الأركان ، قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يُكَفِّرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥] ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩] ، فلا يقبل السعي وهو العمل إلا بالإيمان ، وقال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَىٰ فُلْحَمِيْنَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] ، فالإيمان أساس لا تقبل الأعمال إلا به ، ولهذا لما قال ((أي الإسلام أفضل ؟ قال : الإيمان ، قال وما الإيمان ؟)) فذكر هذه الأركان .

وهذا تأخذ منه فائدة : أن أعمال الإسلام وفرائضه لا تكون مقبولة عند الله تبارك وتعالى إلا إذا وُجد في القلب إيمانٌ يصحّح الإسلام ، فإن لم يوجد في القلب إيمان لا تُقبل الأعمال الظاهرة مجردة عن الإيمان ، بل لابد أن يكون في القلب إيمان يصححها ، ولهذا المسلم هو من جاء بأعمال الإسلام الظاهرة وعنده من الإيمان القلبي ما يصحح إسلامه ، أما من جاء بأعمال الإسلام الظاهرة ولم يترك منها عمل دون أن يكون في قلبه إيمانٌ يصحح هذه الأعمال فلا تُقبل منه وإن كثرت ، ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة: ٥٤] ؛ فانتفاء الإيمان القلبي مانعٌ من قبول العمل الظاهر ، فالمسلم : هو الذي جاء بأعمال الإسلام الظاهرة وعنده من الإيمان القلبي ما يصحح إسلامه ، فإن انتفى الإيمان القلبي المصحح للإسلام لم تُقبل الأعمال كما هو واضح في الآية الكريمة: ﴿ وَمَنْ يُكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، ثم إذا تمكنت أمور الإيمان وخصاله من القلب يرتقي القلب إلى درجة الإيمان كما سبق بيان ذلك .

((قال : وما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت)) ؛ بقي الإيمان بالقدر ، والإيمان بالقدر جاء ذكره في حديث عمر ، قال جبريل للنبي عليه الصلاة والسلام : ((فَأُخْبِرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)) ، فالقدر تارة يُذكر مع هذه الأصول وتارة لا يُذكر ، فمن الأمثلة على ذكره : حديث عمر ، ومن الأمثلة على عدم ذكره : هذا الحديث ، وكذلك قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] فذكر هذه الخمس ولم يذكر الإيمان بالقدر ، وكذلك قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦] ، فذكر هذه الخمس ولم يذكر الإيمان بالقدر .

وعدم ذكر الإيمان بالقدر في بعض النصوص : لأنه داخل في الإيمان بالله ؛ فمن الإيمان بالله الإيمان بقدره وتقديره للأمور ، قال الإمام أحمد رحمه الله: «القدر قدرة الله» ، فالإيمان بالقدر من الإيمان بالله ، ولهذا تارة يُذكر وتارة لا يذكر ، وعدم ذكره في بعض النصوص لا إشكال فيه لأنه داخل في الإيمان بالله لأن «القدر قدرة الله» ، ولا يؤمن عبداً بالله عز وجل حتى يؤمن بالقدر ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : «القدر نظام التوحيد ؛ فمن آمن بالله وكذَّب بالقدر نقض تكذيبه توحيد» ؛ فلا يكون مؤمناً بالله من لا يؤمن بقدر الله تبارك وتعالى . ولا يكون أيضاً المرء مؤمناً بالقدر حتى يؤمن بمراتبه الأربعة :

(١) علم الله عز وجل الأزلي بما كان وما سيكون .

(٢) وكتابتته تبارك وتعالى ذلك في اللوح المحفوظ .

(٣) ومشيتته ﷻ النافذة.

(٤) وإيجاده للمخلوقات وخلقه لها .

فهذه مراتب القدر : علم ، وكتابة ، ومشيتة ، وإيجاد ؛ وكل هذه من أوصاف الرب ﷻ وأفعاله ، وهذا كله يوضح لنا أن الإيمان بالقدر من الإيمان بالله ، ولهذا - كما قلت - أحياناً يُذكر في بعض النصوص ، وأحياناً لا يذكر لدخوله في الإيمان بالله ﷻ .

● والإيمان بالله : هو أصل أصول الإيمان وإليه ترجع ، ولهذا قال في الآية: ﴿ وَمَنْ يُكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ ؛ فأركان الإيمان كلها راجعة إلى هذا الأصل العظيم . والإيمان بالله : هو الإيمان بوحداية الله تبارك

وتعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ودين الإسلام سمي توحيداً : لأن مبناه على الإيمان بوحداية الله في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ، فمن لم يوحد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته فليس بمسلم ، لأن مبنى الإسلام على التوحيد ، والتوحيد هو الإيمان بوحداية الله ﷻ في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

● والإيمان بالملائكة : وهذا الأصل الثاني من أصول الإيمان ، وهو الإيمان بهذا الخلق العظيم وهذا الجند الكبير والعديد الذي خلقه الله ﷻ ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [الدثر: ٣١] ، والإيمان بكل ما يتعلق بهم مما جاء في الكتاب والسنة ؛ من أسماء ، أو أعداد ، أو وظائف ، أو أوصاف . هذه أمور أربعة ننتبه لها : الإيمان بالملائكة هو الإيمان بكل ما جاء في الكتاب والسنة مما يتعلق بالملائكة من أسماء أو أعداد أو وظائف أو أوصاف إجمالاً فيما أُجمل وتفصيلاً فيما فُصِّل .

● والإيمان بالكتب : أي المنزلة ﴿ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ [الشورى: ١٥٠] نؤمن بها ؛ ما علمناه منها وما لم نعلمه ، نؤمن بأنها كتب هداية ، وأنها كلام الله ﷻ وتنزيله ، وأن فيها صلاح وفلاح من أنزلت عليهم تلك الكتب ، وأنها حُتِمت بكتاب الله ﷻ القرآن الكريم .

● والإيمان بالرسل : الإيمان بأنهم بُعثوا وأرسلوا من الله حقاً ، أرسلهم الله ﷻ ، وأنهم بلغوا البلاغ المبين ، ونصحوا أممهم ، وما تركوا خيراً إلا دلّوا أممهم عليه ، ولا شراً إلا حذروهم منه ، والإيمان بأنهم حُتِموا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ، قد قال عليه الصلاة والسلام ((أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي)) .

● ((والبعث بعد الموت)) ؛ في الحديث الآخر قال: ((وَالْيَوْمَ الْآخِرُ)) ؛ البعث بعد الموت : أي أن الناس يقومون لرب العالمين ويُبعثون من قبورهم ، من يُدفن لا يبقى في قبره أبد الآباد ، بل سيأتي يوم يُبعث الناس لرب

العالمين ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦٠] ؛ يقومون من قبورهم . وقيام الناس لرب العالمين ليس مختصاً بمن مات ودُفن في قبر ، هذا الغالب من أحوال الناس أنهم يموتون ويدفنون ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس: ٢١] هذا الغالب من حالهم، لكن منهم من يموت ولا يُقبر ؛ منهم من يموت وتأكله السباع ويخرج من أدبارها روئاً ويذهب ولا يبقى له أثر ، ومنهم من تأكله الحيتان ، ومنهم من يحترق في النار فيصبح رماداً ، إلى غير ذلك من أنواع المיתات والهلكات ، فلا يتناول القيام لرب العالمين من مات فقبر ؛ بل الجميع يقومون لرب العالمين حتى من أكلته السباع وخرج من أدبارها روئاً يقوم لرب العالمين ، الكل يقومون لرب العالمين ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ؛ الكل يُجمعون لرب العالمين ويبعثون للجزاء والحساب .

فالإيمان باليوم الآخر والإيمان بالبعث هو إيمان بكل ما يكون بعد الموت ؛ أولاً ما يكون في القبر من فتنة وعذاب ونعيم ، ثم القيام لرب العالمين والحشر والدواوين والصراط والجنة والنار إلى غير ذلك من التفاصيل ، فهذه الإيمان بها أصل لا بد منه ، ولا قيام للدين إلا عليه ، ولهذا يأتي في أحاديث كثيرة : "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَفْعَلْ كَذَا أَوْ لِيَقُلْ كَذَا" ؛ لأن الدين يبنى على هذه الأركان .

قال هنا : ((أي الإسلام أفضل ؟ قال : الإيمان)) يعني أي الدين أفضل ؟ قال : الإيمان ، ومعلوم أن هذه الأمور مكانتها أعظم من الأعمال الظاهرة ؛ لأنها الأساس الذي تبنى عليه الأعمال الظاهرة ، ولهذا لما قال هذا السائل «أي الإسلام أفضل؟» قال : ((الإيمان)) ، قال : «وما الإيمان؟» قال : ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث بعد الموت)).

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.